هرمس في كتاباتنا التاريخية التراثية

وجاء في كتاب وهب بن منية «التيجان في ملوك حمير»[1]

المتوفى عام 733م/114هـ.

«(وأخنوخ): اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي إدريس، وهو إدريس عليه السلام، وأخنوخ اسمه سرياني وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة فيذوق الموت حتماً مقضياً، وأنه عاش في الأرض ثلاث مائة سنة وخمساً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة فهو مع الملائكة. وقال الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. وقال بعض أهل العلم: . ورفعناه مكاناً علياً أي أنه رفعه في النسب مكاناً علياً أن ليس بعد آدم وشيث نبي غيره والله أعلم.

قال وهب: إدريس النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا أنزل عليه الكتاب السرياني وعلمه إياه جبريل. فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة وبعده في الصحيفة مكتوب ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو، إلى آخر الآية ـ ثم أنزل عليه أبجد إلى آخرها فكتب وقرأ ولما رفع الله إدريس استخلف ابنه متوشلح».

تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب[2]

(من العصر العباسي) توفي عام 807م/284هـ.

أخنوخ بن يرد

ثم قام بعد يرد أخنوخ بن يرد، فقام بعبادة الله، سبحانه، ولما أتت له خمس وستون سنة ولد له متوشلح، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم في الهبوط. فعظم ذلك على أخنوخ، فدعا ولده متوشلح ولمكاً ونوحاً. فقال لهم: إني أعلم أن الله معذبٌ هذه الأمة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة.

كان أخنوخ أول من خط بالقلم. وهو إدريس النبي. فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة

---

(1) كتاب التيجان في ملوك حمير ـ وهب بن منبه تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية الطبعة الأولى 1347هـ.

(2) تاريخ اليعقوبي المجلد الأول ص11 طبعة بيروت 1960.

الله ، ويستعملوا الصدق واليقين . ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة .

في كتاب «المعارف» لابن قتيبة الدينوري المتوفى عام 276هـ[1].

(إدريس صلى الله عليه وسلم) قال وهب إن إدريس النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً طويلاً ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد ، كثير شعر الرأس ، وكانت إحدى أذنه أعظم من الأخرى ، وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص ، وكان دقيق الصوت دقيق المنطق قريب الخطى إذا مشى ، وإنما سمي إدريس لكثرة ماكان يدرس من كتب الله تعالى سنن الإسلام ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها ، وكانوا من قبله يلبسون الجلود ، واستجاب له ألف إنسان ممن كان يدعوه ، فلما رفعه الله اختلفوا بعده وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح . وهو أبو جد نوح ، ورفع وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة ، وفي التوراة أن أخنوخ أحسن قدام الله تعالى فرفعه إليه وولد لإدريس متوشالخ على ثلاث مئة سنة من غيره ، وولد لمتوشالخ لمك ولد للمك غلام فسماه نوح .

أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة 282هـ

أورد ذكر إدريس عليه السلام بكتابه «الأخبار الطوال»[2].

«وكان أول نبي بعد شيث إدريس ، واسمه «أخنوخ بن يرد بن مهليل» وسمي إدريس ، لكثرة دراسته» .

يقول الطبري المتوّفى عام 923م/310هـ

في كتابه «تاريخ الرسل والملوك» عن النبي إدريس عليه السلام مايلي.

فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة ـ بركنا ابنه الدرمسيل بن محويل بن خنوح بن قين بن آدام . فولدت له أخنوخ بن يرد ـ وأخنوخ إدريس النبي ، وكان أول بني آدم أعطي النبوة ـ فيما زعم ابن إسحاق ـ وخط

(1) تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي طبعة مصر 1934 .
(2) الأخبار الطوال للدينوري تحقيق عبد المنعم عامر طبعة دار المثنى ببغداد .

بالقلم، فعاش يرد بعدما ولد له أخنوخ ثلاثمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ماعاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات.

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أخنوخ ـ وهو إدريس ـ فنبأه الله عز وجل، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة. وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصى والده يرد فيما كان آباؤه أوصوا به إليه وفيما أوصى به بعضهم بعضاً، وذلك كله من فعله في حياة آدم.

قال: وتوفي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلثمائة سنة وثماني سنين، تتمة تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم. قال: ودعا أخنوخ قومه ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان، وألا يلابسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابيل.

قال: وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة، وكان عمر يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ وقد مضت من عمر يارد مائة واثنتان وستون سنة.

حدثني الحارث، قال حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال أخبرني أبي، عن أبي الصالح، عن ابن عباس، قال: في زمان يرد عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام.

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي، قال: حدثني الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياأبا ذر، أربعة ـ يعني من الرسل ـ سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة».

وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع له علم الماضين، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، قال: فذلك قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾.

وقال: يعني بالصحف الأولى [الصحف] التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام.

وقال لي بعضهم: ملك بيوراسب في عهد إدريس، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه، فاتخذه في ذلك الزمان سحراً، وكان بيوراسب يعمل به، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبته دابة أو امرأة نفخ بقصبة كانت له من ذهب، وكان يجيء إليها كل شيء يريده، فمن ثم تنفخ اليهود [في الشبورات].

ثم نكح ـ فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: أخنوخ بن يرد هدانة ـ وقال: أدانة ـ ابنة باويل بن محويل بن جنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ، فعاش بعدما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة. وولد له بنون وبنات، فكان كل ماعاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة ثم مات.

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن التوراة: ولد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ، فاستخلفه أخنوخ على أمر الله، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع، وأعلمهم أن الله عز وجل سيعذب ولد قابيل ومن خالطهم ومال إليهم، ونهاهم عن مخالطتهم، وذكر أنه كان أول من ركب الخيل، لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد، وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آبائه. وكان عمر أخنوخ إلى أن رفع ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة. وولد له متوشلخ بعدما مضى من عمره خمس وستون سنة.

المسعودي المتوفى عام 346هـ يقول في مروج الذهب[1]:

«قام بعده[2] ولده أخنوخ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم، والصابئة تزعم أنه هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً [وكانت حياته في الأرض ثلاث مئة سنة، وقيل أكثر من ذلك]، وهو أول من درز الدروز،

(1) مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة دار الفكر بيروت الجزء الأول ص39 ـ 40.

(2) أي بعد أنوش بن شيث.

وخاط بالإبرة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة، وأُنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح».

وفي «كتاب الفهرست» للنديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق المتوفى عام 995م/ 373هـ. تحقيق رضا.

اسمها من اسم المشتري، فجمع فيها العلم والعلماء وبنى بها اثنا عشر قصراً على عدد بروج السماء وسماها بأسمائها، وخزن كتب أهل العلم، وأسكنها العلماء... من غير كلام أبي سهل: ـ بنى سبعة بيوت على عدد الكواكب السبعة، وجعل كل بيت منها إلى رجل، فجعل بيت عطارد إلى هرمس. وبيت المشتري إلى تينكلوس. وبيت المريخ إلى طينقروس... رجعنا إلى كلام أبي سهل ـ فانقاد لهم الناس، وانقادوا لقولهم ودبروا أمورهم، لمعرفتهم بفضلهم عليهم في أنواع العلم وحيل المنافع. إلى أن بعث نبي في ذلك الزمان، فإنهم أنكروا عند ظهوره، ومابلغهم من أمره علمهم، واختلط عليهم كثير من رأيهم، فتشتت أمرهم واختلفت أهواؤهم وجماعتهم، فأمَّ كل عالم منهم بلدة ليسكنها ويكون فيها ويترأس على أهلها. وكان فيهم عالم يقال له هرمس، وكان من أكملهم عقلاً وأصوبهم علماً وألطفهم نظراً، فسقط إلى أرض مصر. فملك أهلها وعمر أرضها وأصلح أحوال سكانها، وأظهر علمه فيها، وبقي جل ذلك وأكثره ببابل، إلى أن خرج الإسكندر ملك اليونانيين، غازياً أرض فارس، من مدينة للروم يقال لها مقدونية، عند الذي كان من إنكاره الفدية التي لم تزل جارية على أهل بابل ومملكة فارس، وقتله دارا بن دارا الملك، واستيلائه على ملكه وهدمه المدائن، وإخرابه المجادل المبنية بالشياطين والجبابرة، وإهلاكه ماكان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً، مكتوباً في صخور ذلك وخشبه بهدم ذلك وإحراقه، وتفريق مؤتلفه. ونسخ ماكان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن بمدينة إصطخر. وقلبه إلى اللسان الرومي والقبطي، ثم أحرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها، ماكان مكتوباً بالفارسية، وكتاب يقال له الكشتج، وأخذ ماكان يحتاج إليه من علم النجوم والطب والطبائع، فبعث بتلك الكتب وسائر ماأصاب من العلوم والأموال والخزائن والعلماء إلى بلاد مصر. وقد كانت تبقت أشياء بناحية الهند والصين، كانت ملوك فارس نسختها على عهد نبيهم زرادشت، وجاماسب العالم، وأحرزتا هناك. لما كان نبيهم،

وجاماسب حذراهم من فعلة الإسكندر، وغلبته على بلادهم، وإهلاكه ماقدر عليه من كتبهم وعلمهم، وتحويله إياه عنهم إلى بلاده. فدرس عند ذلك العلم بالعراق، وتمزق واختلفت العلماء وقلّت، وصار الناس أصحاب عصبية وفرقة، وصار لكل طائفة منهم ذلك، فسموا ملوك الطوائف، واجتمع ملك الروم لملك واحد، بعد الذي كان فيهم من التفرق والاختلاط والتحارب قبل ملك الإسكندر، فصاروا بذلك يداً واحدة، ولم يزل ملك بابل منتشراً ضعيفاً فاسداً ولم يزل أهله مقهورين مغلوبين لايمنعون حريما ولايدفعون ضيما، إلى أن ملك أردشير بن بابك من نسل ساسان، فألف مختلفهم وجمع متفرقهم وقهر عدوهم واستولى على بلادهم واجتمع له أمرهم وأذهب عصبيته واستقام له ملكهم. فبعث إلى بلاد الهند والصين في الكتب التي كانت قبلهم وإلى الروم. ونسخ ماكان سقط إليهم، وتتبع بقايا يسيرة بقيت بالعراق فجمع منها ماكان متفرقاً، وألف منها ماكان متبايناً، وفعل ذلك من بعده ابنه سابور. حتى نسخت تلك الكتب كلها بالفارسية، على ماكان هرمس البابلي الذي كان ملكاً على مصر، ودورسوس السرياني، وفيدروس اليوناني من مدينة أثينس المذكورة بالعلم، وبطليموس الإسكندراني، وفرماسب الهندي، فشرحوها وعلموها للناس على مثل ماكانوا أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلها من بابل.

كتب هرمس في النجوم كما أوردها صاحب الفهرست

هرمس

وقد تقدم ذكره. وله من الكتب في النجوم، كتاب عرض مفتاح النجوم الأول، كتاب طول مفتاح النجوم الثاني، كتاب تسيير الكواكب، كتاب قسمة تحويل سني المواليد على درجة. كتاب المكتوم في أسرار النجوم، ويسمى قضيب الذهب.

كتب هرمس في النيرنجات

الخواص والطلسمات

كتاب هرمس في النشر والتعاويذ والعزائم. كتاب الطاريطوس من نيرنجات الأشجار والثمار والأدهاق والحشائش. كتاب فريقوسوس في الأسماء والحفظة والتمائم والعوذ من

حروف الشمس والقمر والنجوم الخمسة وأسماء الفلاسفة. كتاب فريقوسوس في الخواص. وجزأه ثلاثة أجزاء، كل جزء يحتوي على معنى.

كتب هرمس في الكيمياء

قال محمد بن إسحاق النديم المعروف بابن أبي يعقوب الوراق: زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها، أن أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي، المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل، وأنه ملك مصر وكان حكيماً فيلسوفاً، وأن الصنعة صحت له، وله في ذلك عدة كتب، وأنه نظر في خواص الأشياء وروحانيتها، وصح له ببحثه ونظره علم صناعة الكيمياء، ووقف على عمل الطلسمات، وله في ذلك كتب كثيرة، وقد قيل إن ذلك قبل هرمس بألوف السنين، على مذهب أصحاب القدم.

ذكر هرمس البابلي

قد اختلف في أمره، فقيل إنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان إليه بيت عطارد، وباسمه يسمى، فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس. وقيل إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب وإنه ملكها، وكان له أولاد عدة. منهم، طاط وصا واشمن واثريب وقفط. وإنه كان حكيم زمانه. ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرمس، وتعرفه العامة بالهرمين فإن أحدها قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته. ص417- 418.

كتب هرمس في الصنعة

كتاب هرمس إلى ابنه في الصنعة. كتاب الذهب السائل. كتاب إلى طاط في الصنعة. كتاب عمل العنقود. كتاب الأسرار. كتاب الهاديطوس. كتاب الملاطيس. كتاب الأسطماخس. كتاب أرمينس تلميذ هرمس. كتاب نيلادس تلميذ هرمس في رأي الأدخيقي. كتاب دمانوس لهرمس. كتاب السلماطس.

الإكيل للهمداني المتوفى نحو سنة 350هـ[1].

جاء عن هرمس مايلي:

ونكح يارذ بن مهلاييل وهو ابن مائة سنة واثنين [كذا] وستين سنة، بركنا بنت الدرمشيك بن مخويل بن خنوخ بن قائن بن آدم، فولدت له أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام، وتسميه الأعاجم هرمس الكبير، وولد ليارذ غيره بنون وبنات وكان عمر يارذ تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة، ثم نكح أخنوخ بن يارذ هدانة بنت تاويل بن خنوخ بن قائن بن آدم، فولدت له متوشلخ وصابئ، فعلم صابئ الخط، فكانت العرب تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب صابئاً، وكانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً. ويقال: إن أخنوخ أول من خاط الثياب وترك لبس الأدم، وهو أول من بدع الميزان ووضع المكيال، وكان عمره ثلاثمائة سنة وخمساً وستين سنة، ثم توفي.

وقيل: إنه رفع رفعة الوداع، وقيل: لم يرفع حتى أتقن معرفة الفلك مدة، ثم أعيد إلى الأرض فمات فيها ودفن، والذي يعول عليه العلماء، أنه ألهم وأوحي إليه علم النجوم، وكشف له عن المقاييس.

وقد أورد صاحب الإكليل شعراً منقولاً عن حسان [بن ثابت الأنصاري] شاعر رسول الله ﷺ، ينسب فيه إدريس عليه السلام إلى اليمن ويعتبره من أصول بني قحطان:

فنحن بنو قحطان والملك والعلى ... ومنا نبي الله هود الأخايرþ

وإدريس ماإن كان في الناس مثله ... ولامثل ذي القرنين أبناء عابر

وصالح والمرحوم يونس بعدما ... ألات به حوت بأخلب زاخر

شعيب وإلياس وذو الكفل كلهم ... يمانون قد فازوا بطيب السرائر

وينقل صاحب الإكليل عن كعب الأحبار مايلي:

وكان يارذ لايألو ينصح لهم وينهاهم عما كانوا عليه من الضلال، ثم أوصى بعده إلى إدريس، واسمه في التوراة، أخنوخ، وشالت. وكان أول نبي بعثه الله وعلمه الحساب

(1) المجلد الأول من الإكليل تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي طبعة دار الحرية ببغداد عام 1977 ص118 ـ 119.

والكتابة. فلم يطعه أحد من ولد شيث، واختلفوا بنسل قائن، فرفع الله إليه إدريس، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾، واستخلف إدريس بعده متوشلخ [ص 131].

إلا أن الهمداني قد وجه إليه بعض النقض والتشكيك في نقله هذا ومثال على ذلك ماأورد الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه «بين التاريخ والآثار» إذ يقول[1]:

ويقول الهمداني صاحب «الإكليل»: إن شعيباً النبي ينتمي إلى أرومة اليمن. . فهو من قوم صاحب الإكليل نفسه. وعزا الهمداني إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه أبياتاً، نسب فيها شعيباً إلى نبي قحطان باليمن هي:

فنحن بنو قحطان والملك والعلا ... ومنا نبي الله هود الأخاير

وإدريس ماإن كان في الناس مثله ... ولامثل ذي القرنين أبناء عابر

وصالح والمرحوم يونس بعدما ... ألات به حوت بأخلب زاخر

«شعيب» وإلياس وذو الكفل كلهم ... يمانون قد فازوا بطيب السرائر

ونلاحظ على هذه الأبيات أموراً. منها أن أسلوبها ليس قوياً. ووردت فيها كلمة «المرحوم» والمفهوم أنها «المولود» فإن كان هذا الشعر، شعر حسان بن ثابت حقاً، فهو نص على أصالة الكلمة، وصحة التعبير بها. وليست هذه الأبيات في ديوان حسان المطبوع والموجود لدينا. ولانتهم الهمداني بالتقول على حسان، ولكن السهو والانتحال موجودان في الرواة من قديم الزمان. . . فقد تكون الأبيات رويت عن حسان للمؤلف، وهي منحولة، ولم يمحص الهمداني نصها ولم يفحص رواتها لأنها وافقت مبدأ له. . والإنسان بشر يخطئ ويصيب على كل حال.

في كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل الذي ألفه عام 377هـ[2].

ذكر
الطبقة العالية الأولية
ممن تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية

قال أبو معشر البلخي المنجم، في كتاب الألوف: الهرامسة ثلاثة أولهم:

---

(1) طبعة بيروت 1969، ص270 ـ 271.

(2) تحقيق فؤاد السيد طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عام 1955 ص5 ـ 10.

1. هرمس

الذي كان قبل الطوفان. ومعنى هرمس لقب، كأن يقال قيصر وكسرى.. وتسميه الفرس في سيَرها ابن جهد، وهو الذي تدَّعي الحرَّانية حكمته وتذكر أن جده جيومرت. وهو آدم، ويذكر العبرانيون أنه خنوخ، وهو بالعربية إدريس.

قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وإن جده جيومرت علمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وإنه ألف لأهل زمانه قصائد موزونة، وأشعاراً معلومة، في الأشياء الأرضية والعلوية. وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أنه آفة سماوية تلحق بالأرض من الماء أو النار، وكان مسكنه صعيد مصر، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابى، وهو الجبل المعروف بالبربا (بإخميم) نحته وصور فيه جميع الصناعات وصنائعها نقشاً، وصور جميع آلات الصناع وأشار إلى صفات العلوم برسوم، حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة بأن يذهب رسم ذلك من العالم[1].

وثبت في الأثر المروي عن السلف، أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكاناً علياً.

وحكى عنه أبو معشر حكايات شنيعة أتيت بأخفها وأقربها. وبالله التوفيق.

2. هرمس الثاني

من أهل بابل، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل، (وكان) بعد الطوفان في زمن نبريزباني الذي هو أول من بنى بابل بعد نمرود بن كوش، وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة، وعارفاً بطبائع الأعداد، وكان تلميذ فيثاغورس الأرثماطيقي. وهرمس هذا، جدد علم الطب والفلسفة وعلم العدد ماكان قد درس بالطوفان ببابل. ذكر أبو معشر.

ومدينة الكلدانيين هذه هي مدينة الفلاسفة من أهل المشرق، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود ورتب القوانين، (وهم فلاسفة حذاق الفرس).

---

(1) هذا ماكان يفسر به النقوش الموجودة على المعابد والقبور المصرية القديمة.

3. هرمس الثالث
(ويسمى أيضاً المثلث بالحكمة)

سكن مدينة مصر. كان بعد الطوفان. وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم. وكان فيلسوفاً طبيباً، عالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المعدية وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها، عالماً بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها، وله كلام (حسن) في صناعة الكيمياء نفيس، يتعلق منه إلى صناعات (كثيرة) كالزجاج والخرز والغضائر وماأشبه ذلك، وكان له تلميذ يعرف اسمه إسقلابيوس، له أخبار شنيعة وقصص كثيرة، تستجلب ماصح منها مما وقع في الكتب المعروفة إن شاء الله.

الصابئة وهرمس (أو بوذاسف)

يقول أبو الريحان محمد بن البيروني في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وهو المتوفى عام 449هـ[1].

«القول على تواريخ المتنبئين وأممهم المخدوعين...

وأول المذكورين - بوذاسف وقد ظهر عند مضي سنة من ذلك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسية ودعا إلى ملة الصابئين فاتبعه خلق كثير، وكانت الملوك البشداذية وبعض الكيانية ممن كان قد استوطن بلخ يعظمون النيِّرَيْن والكواكب وكليات العناصر ويقدسونها إلى وقت ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرَّان يُنسبُون إلى موضعهم فيقال لهم الحرَّانية، وقد قيل إنها هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام، وقد كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدهم تمسكاً به وحكى عنه ابن سنكلا النصراني في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنهم يقولون أن إبراهيم عليه السلام إنما خرج عن جملتهم لأنه في قلفته برص، وإن من كان به ذلك فهو نجس لايخالطونه فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن، ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتاً من الصنم يقول له ياإبراهيم خرجت من عندنا بعيب واحد وجئتنا بعيبين ولاتعاود المجيء إلينا فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذاً وخرج من جملتهم،

(1) طبعة دار المثنى ببغداد ص204 ومابعدها.

ثم إنه ندم بعد مافعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم فلما علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكبش، وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لايمكنهم اليوم جهراً، ونحن لانعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح بالسلب لا الإيجاب كقولهم لايحد ولايرى ولايظلم ولايجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبعمرها ويعظمون الأنوار، ومن آثارهم القبة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلاهم أيام كان اليونانيون والروم على دينهم، ثم صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثم تغلب عليها النصارى فصيروها بيعة إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتخذوها مسجداً، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخي في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرّان فإنها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان، وبقربها قرية تسمى سلمسين واسمها القديم صنم القمر، وقرية أخرى تسمى ترع عوز أي باب الزهرة، ويذكرون أن الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم، وأن اللات كان باسم زحل، والعزى باسم الزهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصري وأغاذيمون ووواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جد أفلاطون من جهة أمه وأمثالهم، ومنهم من حرم عليه السمك خوفاً أن يكون رعادة، والفرخ لأنه أبدا محموم، والثوم لأنه مصدع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم، والباقلاء فإنه يغلظ الذهن ويفسده، وإنه في أول الأمر إنما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أولها عند طلوع الشمس ثماني ركعات، والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات، والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات، وفي كل ركعة في صلواتهم ثلاث سجدات ويتنقلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل، ويصلون على طهر ووضوء، ويغتسلون من الجنابة ولايختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين، وفي التنجس عند مس الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها، وذبائح يتولاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ماعسى

يكون المقرب وجواب مايسأل عنه، وقد يسمى هرمس بإدريس الذي ذكر في التورية أخنوخ وبعضهم زعم أن بوذاسف هو هرمس وقد قيل إن هؤلاء الحرَّانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية، فإن الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش وأيام أرطحشت إلى بيت المقدس، ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بختنصر فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسية واليهودية كالسامرة بالشام، وقد يوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهرى الصلة منتمين إلى أنوش بن شيث ومخالفين للحرانية عائبين مذاهبهم ولايوافقونهم إلا في أشياء قليلة، حتى إنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي، والحرَّانية إلى الجنوبي، وزعم بعض أهل الكتاب أنه كان لمتوشالح ابنٌ غيرلمك تسمى صابي، وأن الصابئة سموا به وكان الناس قبل ظهور الشرائع وخروج بوذاسف شمنبيين سكان الجانب الشرقي من الأرض وكانوا عبدة أوثان، وبقاياهم الآن بالهند والصين والتغزغز، ويسميهم أهل خراسان شمنان وآثارهم وبهارات أصنامهم وفرخاراتهم ظاهرة في ثغور خراسان المتصلة بالهند، ويقولون بقدم الدهر وتناسخ الأرواح وهوى الفلك في خلاء غير متناه، ولذلك يتحرك على استدارة فإن الشيء المدور إذا أزيل ينزل مع دوران زعموا، ومنهم من أقر بحدوث العالم وزعم مدته ألف ألف سنة مقسومة بأربعة أقسام أولها أربعمائة ألف وهو زمان الصلاح والخير، فيجتمع له ثلاثة آلاف وأربع مئة وسبع وخمسون، ونظن أنهم يلاحوننا فيما نورده من معنى نجومي لاشتراكنا معهم في علمه، فإذن ليس لاعتلال المعتل وتأويل المتأول معنى بوجه من الوجوه. هذا الذي ذكرنا من أمر القسمة يشهد لأهل مصر في أمر الحدود، فإن مدة حد الزهرة في الحوت أربعمائة سنة على قولهم ومائتان وست وستون سنة على قول بطليموس، وقد قدمنا أن المدة التي بين الإسكندر وأردشير يجاوز الأربع مائة سنة، واجتهدنا في تصحيح ذلك ونعود الآن فنقول إن الفرس كانوا يدينون بما أورده زرادشت من المجوسية لايفترقون فيها ولايختلفون إلى ارتفاع عيسى وتفرق تلامذته في الأقطار للدعوة وأنهم لما تفرقوا في البلاد وقع بعضهم إلى بلاد الفرس وكان ابن ديصان ومرقيون من استجاب وسمعا كلام عيسى وأخذا منه طرفاً، ومما سمعا من جهة زرادشت طرفا واستنبط كل واحد من كلا القولين مذهباً يتضمن القول بقدم الأصلين، وأخرج كل واحد منهما إنجيلاً نسبه إلى المسيح وكذب ماعداه، وزعم ابن ديصان أن نور الله قد حل قلبه، ولكن الخلاف لم يبلغ بحيث يخرجهما وأصحابهما من جملة

النصارى ولم يكن إنجيلاهما مباينين في جميع الأسباب لإنجيل النصارى بل زيادات ونقصان وقع فيهما والله أعلم.

وقد جاء في كتاب «طبقات الأمم» لابن صاعد الأندلسي

المتوفى عام 1070م مايلي:

«وكان من الكلدانيين علماء من أجَلِّ الناس فضلاً وحكماً متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والإلهية. وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب وتَحقُّقٌ بعلم أسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها وخواص المولدات وقواها. وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الأرض الطريق إلى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب وإظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بأنواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انتماء الطلسمات وغيرها من صناعة السر.

وأشهر علمائهم عندنا وأجَلُّهم هو هرمس البابلي، وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني. وذكر عنه أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب (الألوف) أنه هو الذي صحح كثيراً من كتب الأوائل في علوم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد، وأنه صنف كتباً كثيرة في علوم شتى. قال أبو معشر: والهرامس جماعة شتى منهم الهرمس الذي كان قبل الطوفان الذي يزعم العبرانيون أنه خنوخ النبي، وهو إدرس عليه السلام. وكان بعد الطوفان منهم عدة ذوي معرفة وتمييز، وكان للقدم منهم اثنان، البابلي الذي ذكرنا والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكان مصر.

قال صاعد وقد وصل إلينا من مذهب هرمس البابلي مادل على تقدمه في العلم، من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ومذهبه في تسوية بيوت الفلك، ومن ذلك كتبه في أحكام النجوم مثل كتاب (الطول) وكتاب (العرض) وكتاب (قضيب المذهب) (ص19)».

«وذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو إدريس النبي عليه السلام. وقالوا إنه

أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها، وأول من نظر في علم الطب وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية. وقالوا إنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم».

ويقول عن هرمس الثاني:

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني وكان فيلسوفاً جوالاً في البلاد طوافاً على المدائن بنصب أهلها وطبائع أهلها، وله كتاب جليل في صناعة الكيميا، وكتاب في الحيوانات ذوات السموم (ص41).

وفي قصيدة نشوان الحجري المتوفى 537هـ تلميحات لإدريس عليه السلام وأنه من أصول العرب العاربة وقحطان[1].

لاتبتئس للحادثات ولاتكن ... بمسرة في الدهر بالمفراح

أفأين هودٌ وأصفى ووصية ... قحطان زرع نبوة وصلاح

هود النبي صلى الله عليه وسلم ابن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم. واتفق كثير من علماء السير، أن أول نبي مرسل بعثه الله بعد نوح بشيراً ونذيراً وأميناً على وحيه هو هود عليه السلام، وهو أبو العرب العاربة، وهو الذي يقول فيه علقمة:

أبونا نبي الله هود بن عابر ... ونحن بنو هود النبي المطهر

لنا الملك في شرق البلاد وغربها ... ومفخرنا يسمو على كل مفخر

فمن مثل كهلان القواضب والقَنا ... ومن مثل أملاك البريَّة حِمْيَر

(1) ملوك حمير وأقيال اليمن قصيدة نشوان الحميري المتوفى عام 537هـ تحقيق الجرافي والمؤيد ـ دار العودة ـ بيروت.

في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني المتوفى 548هـ[1].

حكم هرمس العظيم

المحمود آثاره، المَرْضِيُّ أقواله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام، وهو الذي وضع أسامي البروج، والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة، وبين تعديل الكواكب وتقويمها، وأما الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع، وللهند والعرب طريقة أخرى في الأحكام، أخذوها من خواص الكواكب، لامن طبائعها، ورتبوها على الثوابت لاعلى السيارات، ويقال إن عاذيمون وهرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام، ونقلت الفلاسفة عن هاذيمون أنه قال، المبدئ الأول خمسة، الباري تعالى، والعقل، والنفس، والمكان، والخلاء، وبعدها وجود المركبات، ولم ينقل هذا هن هرمس.

قال هرمس، أول مايجب على المرء الفاضل بطباعه، المحمود بسنخه، المَرْضِيِّ في عادته. المرجُوِّ في عاقبته، تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته، وبعد ذلك، فللناموس عليه حق الطاعة له، والاعتراف بمنزلته، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد، ولنفسه عليه حق الاجتهاد، والدأب في فتح باب السعادة، ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع إليهم بالبذل، فإذا أحكم هذه الأسس، لم يبق عليه إلا كف الأذى عن العامة، وحسن المعاشرة بسهولة الخلق، انظروا معاشر الصابئة كيف عظم أمر الرسالة، حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله عز وجل، ولم يذكر هاهنا تعظيم الروحانيات ولاتعرض لها، وإن كانت هي من الواجبات، وسئل بماذا يحسن رأي الناس في الإنسان، قال بأن يكون لقاؤه لهم لقاء جميلاً، ومعاملته إياهم معاملة حسنة، وقال مودة الإخوان أن لايكون لرجاء منفعة، أو لدفع مضرة، ولكن لصلاح فيه وطباع له، وقال أفضل مافي الإنسان من الخير العقل، وأجدر الأشياء أن لايندم عليه صاحبه العمل الصالح، وأفضل مايحتاج إليه في تدبير الأمور الاجتهاد، وأظلم الظلمات الجهل، وأوبق الأشياء الحرص، وقال، من أفضل البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسرة، والعفو عند المقدرة، وقال، من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده، وقال، الفصل بين العاقل والجاهل، أن

(1) تصحيح الأستاذ أحمد فتحي محمد الجزء الثاني ص202 ومابعدها.

العاقل منطقه لـه ، والجاهل منطقه عليه ، وقال لاينبغي للعاقل أن يستخف بثلاثة أقوام : السلطان ، والعلماء والإخوان فإن من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه ، ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه ، ومن استخف بالإخوان أفسد عليه مروءته ، وقال : الاستخفاف بالموت هو أحد فضائل النفس ، وقال المرء حقيق أن يطلب الحكمة ، ويثبتها في نفسه أولى بأن لايخرج من المصائب التي تعم الأخبار ، ولايأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولايعيِّر أحداً بما هو فيه ، ولايغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله ، حتى لايتفاوت ، وتكون سنته مالاعيب فيه ، ودينه مالايختلف فيه ، وحجته الشره والسخط ، وإنما يكون كل السرور بالقناعة والرضى ، وكل الحزن بالشره والسخط . ويحكى عنه فيما كتبه أن أصل الضلال والهلكة لأهله أن يعد مافي العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه ، ولايعد مافيه من الشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده ، ومن افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى بها . فكيف يخلص من أعظم الفرية على الله عز وجل أن جعله سبباً للشرور وهو معدن الخير ، وقال : الخير والشر واصلان إلى أهلهما لامحالة ، فطوبى والويل لمن أجرى وصولهما إلى من وصلا إليه وعلى يديه ، وقال : الإخاء الدائم الذي لايقطعه شيء اثنان ، أحدهما محبة المرء نفسه في أمر معاده ، وتهذيبه إياها في العلم الصحيح ، والعمل الصالح والآخر مودته لأخيه في دين الحق ، فإن ذلك مصاحب أخاه في الدنيا بجسده وفي الآخرة بروحه ، وقال الغضب سلطان الفظاظة والحرص سلطان الفاقة ، وهما منشأ كل سيئة ومُفْسدا كل جسد ، ومُهلكا كل روح ، وقال : كل شيء يطاق تغييره إلا الطباع ، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء ، وكل شيء يستطاع دفعه إلا القضاء ، وقال : الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن ، لأن هذين خلاء النفس ، وهذين خلاء البدن ، وقال : أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق في الجماعة ، وقال : أدحض الناس حجة من شهد على نفسه بدحوض حجته ، وقال من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى فدينه دين الله عزَّ وجلَّ ، وخصمه له شاهد بفلج الحجة ، ومن كان دينه الإهلاك والفظاظة والأذى فدينه دين الشيطان ، وهو بدحوض حجته شاهد على نفسه ، وقال : الملوك تحتمل الأشياء كلها إلا ثلاثة : قدح في الملك ، وإفشاء للسر ، وتعرض للحرمة ، وقال : لاتكن أيها الإنسان كالصبي إذا جاع صغى ، ولا كالعبد إذا شبع طغى ، ولا كالجاهل إذا ملك بغى ، وقال ، لاتشيرن على عدو ولاصديق إلا بالنصيحة ، أما

الصديق فيقضي بذلك من واجبه، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك، وحسدك، وإن صح عقله استحيا منك، وراجعك، وقال: يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة، وعلى غريزة الورع الصدق عند الشره، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب، وقال: من سره مودة الناس له ومعونتهم إياه وحسن القول منهم فيه، حقيق بأن يكون مثل ذلك لهم، وقال: لايستطيع أحد أن يحوز الخير والحكمة، ولا أن يخلص نفسه من المعايب، إلا أن يكون له ثلاثة أشياء، وزير، وولي وصديق، فوزيره عقله، ووليه عفته، وصديقه عمله الصالح، وقال: كل إنسان موكول بإصلاح قدر باع من الأرض، فإنه إذا أصلح قدر ذلك الباع صلحت له أموره كلها، وإذا أضاعه أضاع الجميع، وقدر ذلك نفسه، وقال: لايمدح بكمال العقل من لم تكمل عفته، ولابكمال العلم من لم يكمل عقله، وقال: من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء؛ أن يبدلوا العدو صديقاً، والجاهل عالماً، والفاجر بَرّاً، وقال: الصالح من يعد خيره خيراً لكل أحد، ومن يعد خير كل أحد لنفسه خيراً، وقال: ليس بحكمة مالم يعاد الجهل، ولابنور مالم يمحق الظلمة، ولابطيب مالم يدفع النتن، ولابصدق مالم يدحض الكذب، ولابصالح مالم يخالف الصالح والله أعلم.

ابن الأثير والكامل في التاريخ[1] المتوفى في عام 1234م/630هـ

(ذكر خنوخ وهو إدريس عليه السلام)

ثم نكح خنوخ بن يرد هدانة ويقال أدانة ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن خنوخ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاث مئة سنة، ثم رفع، واستخلفه خنوخ على أمر ولده وأمر الله، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع، وأعملهم أن الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم، ونهاهم عن مخالطتهم. وأنه كان أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ في الجهاد، ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة، فولدت له لمك ابن متوشلخ، فعاش بعدها ماولد له لمك سبعمائة سنة، وولد له بنون وبنات فكان كل ماعاش متوشلخ تسعمائة وعشرين سنة، ثم مات وأوصى إلى ابنه لمك فكان يعظ قومه

(1) عن كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى 630هـ طبعة دار الفكر بيروت عام 1978 ج1 ص35 و 36 .

وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل، وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون.

وجاء في «تاريخ الحكماء» للقفطي المتوفى عام 1248م/646هـ[1]

[إدريس] النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير من أخباره ماأنا في غنى من إعادته وأنا ذاكر ماقاله الحكماء خاصة، اختلف في مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبوة، فقالت فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ومولده بمنف، وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس ومعنى أرميس عطارد، وقال آخرون اسمه باليونانية طرميس وهو عند العبرانيين اسمه خنوخ وعرب أخنوخ وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين إدريس، وقال هؤلاء أن معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل أغثاذيمون المصري ولم يذكروا من كان هذا الرجل إلا أنهم قالوا إنه كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين، وسموه أيضاً أورين الثاني وإدريس عندهم أورين الثالث، وتفسير غوثاذيموس السعيد الجد، وقالوا خرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه بها، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره، وقالت فرقة أخرى إن إدريس ولد ببابل ونشأ بها وإنه أخذ في عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه إدريس لأن إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن شيث. قال الشهرستاني: إن أغثاذيمون هو شيث، ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفهم فنوى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له وأين نجد إذا رحلنا مثل بابل، وبابل بالسريانية النهر وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات، فقال إذا هاجرنا لله رزقنا غيره فخرج وخرجوا وساروا إلى أن وافقوا هذا الإقليم الذي سمي بابليون فرأوا النيل وراؤه إلى أن وافوا هذا الإقليم الذي سمي بابليون ورأوْهُ النيل، ورأوه وادياً خالياً من ساكن، فوقف إدريس على النيل وسبح الله وقال لجماعته بابليون واختلف في تفسيره فقيل نهر كبير كنهركم، وقيل نهر مبارك، وقيل إن يون في السريانية مثل افْعَل التي للمبالغة في كلام العرب، وكأن معناه نهر أكبر فسمى الإقليم عند جميع الأمم بابليون وسائر فرق الأمم على ذلك، إلا العرب فإنهم يسمونه إقليم مصر نسبة إلى مصر بن حام النازل به بعد الطوفان

(1) طبعة دار الآثار بيروت ص2 ومابعدها.

والله أعلم بكل ذلك . . وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عزَّ وجلَّ وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لساناً، وعلمه الله عزَّ وجلَّ منطقهم ليُعلِّم كل فرقة منهم بلسانها، ورسم له تمدين المدن وجمع له طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعد فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها، وكانت عدة المدن التي أنشئت في زمانه مائة مدينة وثمان وثمانين مدينة أصغرها الرها، وعلَّمهم العلوم . . وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم، فإن الله عزَّ وجلَّ أفهمه سر الفلك وتركيبه ونقطة اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب، ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك، وأقام للأمم سناً في كل إقليم تليق كل سنة بأهلها وقسم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كل ربع ملكاً يسوس أمر المعمور من ذلك الربع، وتقدم إلى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة سأذكر بعضها، وأسماء الأربعة الملوك الذين ملكوا. الأول إيلاوس وتفسيره الرحيم. والثاني أوس. والثالث سقلبيوس والرابع أوس آمون وقيل إيلاوس آمون وقيل يسيلوخس وهو آمون الملك.

(ذكر بعض) ماسنه لقومه المطيعين له. دعا إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها، وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة وحرم عليهم لحم الحمار والكلب وحرم السكر من كل شيء من المشروبات، وشدد فيه أعظم التشديد، وجعل لهم أعياداً كثيرة في أوقات معروفة وقربانات منها لدخول الشمس رؤس البروج، ومنها لرؤية الهلال وكلما صارت الكواكب في بيوتها وشرفها وناظرت كواكب أُخَر.

ذكر ماأمر به من القرابين. . أمر بتقريب ثلاثة أشياء: البخور والذبائح والخمر، وتقريب كل باكورة فمن الرياحين الورد ومن الحبوب الحنطة ومن الفواكه العنب، ووعد أهل ملته بأنبياء يأتون من بعده عدة وعرفهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يكون بريأ من المذمات والآفات كلها كاملاً في الفضائل الممدوحات، لايقصر عن مسألة يسئل عنها مما في الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم، وأنه يكون مستجاب الدعوة في كل مايطلبه، وأنه يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم. ولما ملك إدريس الأرض

رتب الناس ثلاث طبقات كهنة وملوكاً ورعية وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك؛ لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وفي الرعية وليس للملك أن يسأل الله إلا في نفسه وفي ملكه وفي الرعية، وماله أن يسأله في الكاهن لأن الكاهن أقرب إلى الله منه فقد نقصت منزلة الملك بهذا عن منزلة الكاهن، وليس للرعية أن تسأل الله في شيء إلا في نفسها، لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذي ملّكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك، ومرتبتين عن الكاهن، فلم يزالوا على هذه القاعدة من العمل في العبادة وآداب الأئتمار بهذه الشريعة إلى أن رفع الله إدريس إليه وخلفه أصحابه على شريعته. وكان أقوى الملوك عزماً من الأربعة إسقلبيوس، فإنه أجهد لحفظ الكلمة وقوانين الشريعة الإدريسية، وحزن لرفع إدريس من بين أظهرهم وصور صورته في الهياكل، وصورة رفعه، وكان إسقلبيوس ملكاً في الجهة التي ملكها يونان بعد الطوفان فوجدوا صور إدريس ورفعه، وعلموا علو قدر إسقلبيوس وتدوينه الحكم لهم في الهياكل التي لم يفسدها الطوفان فظنوا أن إسقلبيوس هو الذي ارتفع إلى السماء وغلطوا في ذلك غلطاً بيناً، لأنهم أخذوه بالحدس، وسيأتي بعض ذلك في أخبار إسقلبيوس إن شاء الله تعالى وشريعته يعني إدريس هي المملكة الحقيقية وتعرف في ملة الصابئين بالقيمة وطبقة المعمور من الأرض، وكانت قبلته إلى حقيقة الجنوب على خط نصف النهار.

صورة هرمس الهرامسة وهو إدريس قيل إنه كان عليه السلام رجلاً آدم تام القامة أجلح حسن الوجه كثيف اللحية مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع عريض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما، متأنياً في كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به عبسة، وإذا اغتاظ احتد، يحرك سبابته إذا تكلم، وكانت مدة إقامته على الأرض اثنين وثمانين سنة، وكان على فص خاتمه الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر، وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد حفظ الفروض والشريعة من تمام الدين، وتمام الدين كمال المروءة، وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت، السعيد من نظر نفسه وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة، وكانت له مواعظ وآداب استخرجها كل فرقة بلسانها تجري مجرى الأمثال والرموز، فأذكرُ بعضه إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله: لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه، وقال: من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيء العمل كما ترى الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة النجارة، فحب الدنيا وحب الآخرة لايجتمعان في

قلب أبداً. وقال خير الدنيا حسرة وشرها ندم. وقال: إذا دعوتم الله سبحانه وتعالى فأخلصوا النية وكذا الصيام فافعلوا. وقال لاتحلفوا كاذبين ولاتهجموا على الله سبحانه وتعالى باليمين، ولاتُحلِّفوا الكاذبين فتشاركوهم في الإثم. وقال تجنبوا المكاسب الدنيئة. وقال أطيعوا ملوككم واخضعوا لأكابركم واملؤا أفواهكم بحمد الله. وقال: حياة النفس في الحكمة. وقال: اجتنبوا مصاحبة الأشرار. وقال لاتحسدوا الناس على مواتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل. وقال من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء. . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل: الهرامسة ثلاثة أولهم هرمس الذي كان قبل الطوفان، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى، وتسميه الفرس في سيرها أبهجد وتذكر الفرس أن جده جبومرت، وتسمية العبرانيون خنوخ، وهو عندهم إدريس أيضاً، قال أبو معشر: وهو أول من تحكم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وهو أول من نظر في الطب وتكلم فيه وألف لأهل زمانه قصائد موزونة وأشعاراً معلومة في الأشياء الأرضية والعلوية، وهو أول من أنذر بالطوفان وذلك أنه رأى أن آية سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، وكان مسكنه صعيد مصر تخير ذلك فبنى هياكل الأهرام ومدائن البرابي، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وصور فيها جميع الصناعات وصانعها نقشاً وصور جميع آلات الصناع، وأشار إلى صفات العلوم برسوم لمن بعده خشية أن يذهب رسم تلك العلوم، وثبت في الأثر المروي عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم وأنزل الله عليه صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله إليه مكاناً علياً، وحكى عنه أبو معشر حكايات شنيعة أتيت بأخفها وأقربها، انقضى كلام ابن جلجل.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد»[1] المتوفى عام 1283م/682هـ.

ومن الناس من يزعم أن هرمس الأول الذي يسميه اليونانيون أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم. عليه السلام، وهو إدريس. علم بطوفان نوح إما بالوحي أو بالاستدلال على ذلك من أحوال الكواكب. فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقاً عليها من الدروس، واحتياطاً عليها وحفاظاً عليها.

(1) طبعة دار صادر ببيروت ص 269 .

(حنوخ بن يرد) ولد له متوشلح وعمره على الرأي السبعيني مائة وخمس وستون سنة، وعلى رأي اليهود خمس وستون سنة. هذا حنوخ تمسك بوصايا الله الطاهرة وعمل بها وتتبع الخير وصرف عن الشر مواظباً على العبادة ثلاث مئة سنة فنقله الله إلى حيث شاء حياً وقيل إلى الفردوس.

والأقدمون من اليونانيين يزعمون أن حنوخ هو هرمس، ويلقب طربسميجيسطيس أي ثلاثي التعليم، لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة. والعرب تسمية إدريس. وقيل إن الهرامسة ثلاثة: الأول هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية وأنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع فبنى الأهرام وصوَّر فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده. والثاني هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين وكان بعد الطوفان، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش. والثالث هرمس المصري وهو الذي يسمى طريسميجيسطيس أي المثلث بالحكمة، لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء، ونقلت من صحفه نبذ من مقالاته إلى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما، وهي على غير نظام وولاء؛ لأن الأصل كان بالياً مفرقاً، والنسخة موجودة عندنا بالسريانية، وقيل إن هرمس الأول بنى مائة وثمانين مدينة أصغرها الرها، وسن للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيارة بيوتها وإشراقها، وكذلك كلما استهل الهلال وحلت الشمس برجاً من الاثني عشر. وأن يقربوا قرابين من كل فاكهة باكورتها، ومن الطيب والذبائح والخمور أنفسها. وحرَّم السكر والمآكل النجسة. والصابئة تزعم بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلم هرمس. وكان إسقليبياذيس الملك أحد من أخذ الحكمة عن هرمس وولاه هرمس، ربع الأرض المعمورة يومئذ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان. ولما رفع الله هرمس إليه حزن إسقليبياذيس حزناً شديداً تأسفاً على مافات الأرض من بركته وعلمه، وصاغ له تمثالاً على صورته ونصبه في هيكل عبادته. وإن التمثال على غاية مايمكن من إظهار أهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته، ثم صوره مرتفعاً إلى السماء، وكان يَمْثُلُ بين يديه تارة ويجلس أخرى، ويتذكر شيئاً من حكمه ومواعظه على

العبادة. وبعد الطوفان ظن اليونانيون أن الصورة لإسقليباذيس فعظموه غاية التعظيم، وكان إبقراط إذا عهد إلى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت، الحياة وأبي وأبيكم إسقلبياذيس. وكان يصوره وبيده نبات الخطمي رمزاً منه إلى فضيلة الاعتدال في الأمور واللين والمؤاتاة والمطاوعة في المعاملة. وقال جالينوس: لايجب أن يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل إسقلبياذيس. أقول كلما ورد من أخبار ماقبل الطوفان ولم يسند إلى نبإ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الوجه.

أما عماد الدين إسماعيل أبي الفداء المتوفى عام 734هـ فقد قال في كتابه (المختصر في أخبار البشر) مايلي[1]:

ولما صار ليرد مائة واثنتان وستون، ولد له (حنوخ) بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ولمضي عشرين سنة من عمر حنوخ توفي شيث وعمره تسعمائة واثنتا عشرة.

«وكان عمر يرد لما توفي تسعمائة واثنتين وستين سنة، وأما حنوخ وهو إدريس فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء، فكان ذلك لمضي ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة، ونبأ الله إدريس المذكور وانكشفت له الأسرار السماوية، وله صحف منها لاتروموا أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين إلا من آثاره».

في «البداية والنهاية» للحافظ بن كثير المتوفى عام 744هـ[2]

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية، وهو خنوخ هذا، وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماذكره غير واحد من علماء النسب. وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وذكر ابن إسحاق

(1) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج2 ص9.
(2) ج1 ص99-100 طبعة مكتبة المعارف ببيروت الطبعة الثانية 1977.

أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين. وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل، فقال إنه كان نبي يخط به، فمن وافق خطه فذاك، ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في السماء الرابعة، وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعشى عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ماقول الله تعالى لإدريس ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (لعله من أهل زمانه) فأحَبَّ أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى أزداد عملاً فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري فقال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها، وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري، فسأله وهو معه: كم بقي من عُمره؟ قال: لاأدري حتى أنظر، فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل مابقي من عمره لا طرفة عين فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لايشعر، وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة. وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى، إن أراد أنه لم يمتْ إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد الله رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ماتقدم عن كعب الأحبار والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ رفع إلى السماء فمات بها. وهكذا قال الضحاك. والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح، وهو قول مجاهد وغير واحد. وقال الحسن البصري ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال إلى الجنة. وقال قائلون رفع في

حياة أبيه يرد بن مهلاييل والله أعلم. وقد زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل.

قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام قال له مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال آدم له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

في كتاب «قصص الأنبياء» للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير[1] المتوفى عام 774هـ. ذكر إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية. وهو خنوخ هذا. وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ماذكره غيره واحد من علماء النسب[2].

ونقتطف من رسائل إخوان الصفا بعض الفقرات التي وردت عن هرمس. وهم من القرن الرابع الهجري[3].

ويحكى عن هرمس المثلث بالحكمة، وهو إدريس النبي، عليه السلام أنه صعد إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة، حتى شاهد جميع أحوال الفلك، ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. ص138.

(1) طبعة دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية طبعة 1981.
(2) لم يتابع ابن كثير بنص بطابق النص السابق.
(3) رسائل إخوان الصفا الجزء الأول.

فصل في حقيقة نغمات الأفلاك

اعلم ياأخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن في اعتبار هذه المقالات التي تقدم ذكرها في هذه الفصول الدالة على أن أحكم المصنوعات، وأتقن المركبات، وأحسن التأليفات هو ماكان تركيب بنيته على النسبة الأفضل، وتأليف أجزائه على مثل ذلك دليل وقياس لكل عاقل متفكر معتبر، على أن تركيب الأفلاك، وكواكبها ومقادير أجرامها الأركان ومولداتها موضوعة بعضها على بعض على النسبة الأفضل. وهكذا أبعاد هذه الأفلاك وكواكبها وحركاتها متناسبات على النسبة الأفضل. وإن لتلك الحركات المتناسبة تفضلت متناسبات مطربات متوازيات لذيذات. كما بينا في حركات أوتار العيدان ونغماتها. فإذا تفكر ذو اللب واعتبر تبين له عند ذلك وعلم بأن لها صانعاً حكيماً صنعها، ومركباً حاذقاً ركبها، ومؤلفاً لطيفا ألفها، وتيقن بذلك، فتزول الشبهة المموهة التي دخلت على قلوب كثير من المرتابين، وترتفع الشكوك، ويتضح الحق، ويعلم أيضاً ويتبين له أن في حركات تلك الأشخاص ونغمات تلك الحركات لذة وسروراً لأهلها، مثل مافي نغمات أوتار العيدان لذة وسرور لأهلها في هذا العالم. فعند ذلك تشوقت نفسه إلى الصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها. كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة، لما صفت ورأت ذلك، وهو إدريس النبي عليه السلام. وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ وكما سمعته نفس فيثاغورس الحكيم لما صفت من درن الشهوات الجسمانية، ولطفت بالأفكار الدائمة وبالرياضات العددية والهندسية والموسيقية. فاجتهد ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه، في تصفية نفسك وتخليصها من بحر الهيولي، وأسر الطبيعة، وعبودية الشهوات الجسمانية، وافعل كما فعلت الحكماء ووضعت في كتبها، فإن جوهر نفسك من جوهر نفوسهم. وآمل كما وصفنا في كتاب الأنبياء، عليهم السلام، وصف نفسك من الأخلاق الرديئة والآراء الفاسدة والجهالات المتراكمة والأفعال السيئة، فإن هذه الخصال هي المانعة لها عن الصعود إلى هناك بعد الموت، كما ذكر الله تعالى بقوله: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾. ص225، 226.

فصل في قابلية الإنسان جميع الأخلاق

اعلم ياأخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الله، جل ثناؤه، لما أراد أن يجعل في الأرض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلي الذي هو دون فلك القمر عامراً بكون الناس فيه، مملوءاً من المصنوعات العجيبة على أيديهم، محفوظاً على النظام والترتيب بالسياسات الناموسية والملكوتية والفلسفية والعامية والخاصية جميعاً، ليكون العالم باقياً على أتم حالاته وأكمل غاياته، كما ذكر في السفر الرابع من صحف هرمس وهو إدريس النبي، عليه السلام، وذكرناه في رسالة الجامعة، وأشرنا إليه في رسائلنا، وكما سنبين في هذه الرسالة، فبدا أولاً ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلاً من التراب عجيب البنية، ظريف الخلقة، مختلف الأعضاء، كثير القوى، ثم ركبها وصورها في أحسن صورة من سائر الحيوانات، ليكون بها مفضلاً عليها، مالكاً لها، متصرفاً فيها كيف يشاء، ثم نفخ فيه من روحه، فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها، ليكون بها متحركاً حساساً دراكاً علاماً عاملاً فاعلاً مايشاء، ثم أيد نفسه بقوى روحانية سائر الكواكب في الفلك، ليكون متهيئاً له بها، وممكناً له قبول جميع سائر الأخلاق، وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات والمعارف والسياسات، كما مكنه وهيأ له بأعضاء بدنه المختلفة الأشكال والهيئات تعاطي جميع الصنائع البشرية، والأفعال الإنسانية، والأعمال الملكية. ص297.

وعن ابن خلدون المتوفى عام 808هـ
ننقل من كتابه المعروف باسم تاريخ ابن خلدون مايلي[1]:

«وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ماوقع في الوصف الكريم وهو معروف بين الأئمة، واتفقوا على أن الأرض عمرت بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام، وأنه كان فيهم أنبياء مثل شيث وإدريس، وملوك في تلك الأجيال معدودون، وطوائف مشهورون بالنحل، مثل الكلدانيين ومعناه الموحدون، ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا أن أمم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابئ بن لمك بن أخنوخ، وكان نحلتهم في الكواكب والقيام لها كلها واستنزل روحانيتها وأن من حزبهم الكلدانيين أي الموحدين، وقد ألف أبو إسحاق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم، وذكر أخبارهم أيضاً داهر مؤرخ

(1) تاريخ ابن خلدون ج2 طبعة بيروت عام 1951 ص5.

السريانيين، والبابا الصابي الحراني، وذكر استيلاءهم على العالم وجملاً من نواميسهم، وقد اندرسوا وانقطع أثرهم، وقد يقال إن السريانيين من أهل تلك الأجيال، وكذلك النمرود والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس، وليس ذلك بصحيح عند المحققين واتفقوا على أن الطوفان الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الأرض أجمع، بما كان من خراب المعمور، ومَهْلك الذين ركبوا معه في السفينة، ولم يعقبوا فصار أهل الأرض كلهم من نسله، وعاد أباً ثانياً للخليفة وهو نوح بن لامك، ويقال لمك بن متوشلح بفتح اللام وسكونها ابن خنوخ، ويقال أخنوخ ويقال أشنخ، ويقال أخنخ وهو إدريس النبي فيما قاله ابن إسحاق بن يرد، ويقال بيرد بن مهلائيل، ويقال ماهلايل بن فاين، ويقال قينن بن أنوش، ويقال يانش بن شيث بن آدم، ومعنى شيث عطية الله، هكذا نسبه ابن إسحاق وغيره من الأئمة، وكذا وقع في التوراة نسبه، وليس فيه اختلاف بين الأئمة، ونقل ابن إسحاق أن خنوخ الواقع اسمه في هذا النسب هو إدريس النبي صلوات الله عليه، وهو خلاف ماعليه الأكثر من النسابين، فإن إدريس عندهم ليس بجد لنوح ولا في عمود نسبه، وقد زعم الحكماء الأقدمون أيضاً أن إدريس هو هرمس المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم».

في تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس تأليف الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري[1] المتوفى عام 1582م/960هـ.

ذكر ملوك الفرس متفرقة
ومشاهير الأنبياء والحكماء الذين كانوا في أيامهم

ذكر كيومرث:

في نظام التواريخ للشيخ ناصر الدين البيضاوي اتفق أهل التواريخ على أن أول الملوك كيومرث، وزعم بعض المؤرخين أن كيومرث هو آدم عليه السلام ولم يصدقهم الآخرون، وأورد اسرالي في كتاب نصائح الملوك أن كيومرث أخو شيث وقال جماعة أن كيومرث من أولاد نوح، وقيل هذا أظهر وعلى التقادير كلها أن كيومرث هو أول الملوك في الأرض، ويقال إن كيومرث أول من بنى المدن ابتنى مدينتين إحداهما اصطخر وكان أكثر مقامه بها

(1) ج1 ومابعدها طبعة بيروت.

والثانية دوماوند، وكان يقيم بها أحياناً، وعاش ألف سنة وكان ملكه قريباً من أربعين سنة ووصى بملكه لابن ابنه هوشنج.

ذكر هوشنج:

وكان هوشنج صاحب علم وعدل، وله كتاب في الحكمة العملية، ويدّعي الأعاجم أنه نبيّ، ومن غاية عدله لقبوه بيشداد، يعني كثير العدل، ووضع تاجاً على رأسه واستخرج الحديد من الحجر، وصنع منه آلات، وزاد في عمارة اصطخر التي هي دار ملكه، وبنى مدينتي بابل وسوس، ويقال إن بابل بناء الضحاك، ويقال إن هوشنج كان مشتغلاً بالعبادة في الجبال حتى إن بعض الشياطين ضربوا رأسه وهو في السجود فأهلكوه، وكان كيومرث يتضرع إلى الله حتى أخبر ليلة في النوم عن حال هوشنج، فقصد كيومرث تلك الجماعة من الشياطين فأهلكهم، وبنى في مقامهم مدينة بلخ من خراسان كذا في نظام التواريخ.

ذكر طهمورث:

ولما توفى هوشنج قام مقامه سبطه طهمورث الذي هو ولي عهده، وملك الأقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجاً، وكان محمود في ملكه مشفقاً في رعيته، وإنه ابتنى شابور في فارس وكهن في مرو، وبنى في خطة أصفهان قرين وساروية ونزلها وتنقل في البلدان، وإنه وثب على إبليس حتى ركبه فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها، وأفزعه ومردته حتى تفرقوا، وكان أول من اتخذ الصوف والشَّعر للَّبس والفرش، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها، وأخذ الجوارح للصيد، وكتب بالفارسية، وإن موارسب ظهر في أول سنة من ملكه ودعا إلى ملة الصابئين، كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء إنه ركب إبليس وطاف عليه والعهدة عليهم، وإنما نحن نقلنا ماقالوا، قال ابن الكلبي: أول ملوك الأرض من بابل طهمورث، وكان لله مطيعاً وكان ملكه أربعين سنة، وهو أول من كتب بالفارسية، وفي أيامه عبدت الأصنام، وأول ماعرف الصوم في ملكه، وسببه أن قوماً فقراء تعذر عليهم القوت فأمسكوا نهاراً وأكلوا ليلاً مايمسك رمقهم، واعتقدوا به تقرباً إلى الله تعالى وجاءت الشرائع به كذا في الكامل.

وفي نظام التواريخ وقع في زمانه قحط فأمر الأغنياء أن يقنعوا بعشائهم ويعطوا غداءهم للفقراء، فوضع سنة الصوم، ويقال ظهر في زمانه فناء عظيم وكل من مات له حب صور

صورته فبقي منه عبادة الأصنام، وتزوج يرد أغثوث، وقيل بزوره فولدت له (أخنوخ) ابن يرد بهمزة وحذفها وحاء مهملة مفتوحة ونون، وبعد الواو خاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين ونون وواو وفي آخره خاء معجمة كذا في الكامل.

وفي سيرة ابن هشام أهنخ ويقال أخنخ، وهو إدريس سمي به لكثرة درسه الكتب في صحف آدم وشيث، كذا في رباب التأويل والعرائس. واشتقاقه من الدرس على تقدير كونه عربياً ويمنعه منع صرفه. وفي الأنس الجليل أدرك إدريس من حياة جده شيث عشرين سنة ويقال إن ولادته كانت في زمن آدم قبل وفاته بمائة سنة وقيل حين توفي آدم كان قد مضى من عمر إدريس ثلاث مئة وستون سنة. وفي المختصر ولد بعد وفاة آدم بمائة وستين سنة والجمهور على أن إدريس أول نبي بعث بعد آدم بمائتي سنة، وما مضى من عمره في النبوة مائة وخمس سنين، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة ونزل عليه جبريل أربع، مرات كذا في الأنس الجليل وكان على شريعة آدم وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم.

قال أبو الحسين بن فارس في كتابه (فقه اللغة) يروي أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاث مئة سنة كتبها في طين وطبخه، ولما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي، وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل، كذا في البرهان للزركشي، وكان إدريس أول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان مَنْ قبله يلبسون الجلود، وهو أول من نظر في علم النجوم والحساب، وحكماء اليونان ينسبون إليه في علم الهيئة والنجوم والحساب ويسمونه هرمس الحكيم، وهو عظيم عندهم، كذا في نظام التواريخ، وهو أول أولي العزم، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من اتخذ السبي والأسرى وكان يسير إلى حرب أولاد قابيل ويسبهم ويستعبدهم، وقيل ذلك كله كان في حياة آدم. قال العلماء أن إدريس صعد إلى السماء وعلم دور الأفلاك وطبائع الكواكب وخواصها، ثم نزل وكان ذلك معراجاً له، ولما مضى من عمر إدريس ثلاث مئة سنة وثمان سنين توفي آدم، وفي التوراة أن الله تعالى رفع إدريس بعد ثلاث مئة سنة وخمس وستين سنة من عمره، بعد أن مضى من عمر أبيه خمس مئة وسبعة وعشرون سنة، وعاش أبوه بعد ارتفاعه أربع مئة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسع مئة وثنتين وستين سنة، وعاش يرد بعد مولد إدريس ثماني مئة سنة كذا في الكامل، ويقال إنه قبضت روحه في السماء وصلت عليه الملائكة وبدنه في السماء الرابعة، وتصلي

عليه الملائكة كلما هبطت وقيل إنه مات ثم أحياه الله وأدخله الجنة وهو فيها الآن، وسيجيء وقال قوم إنه نبئ بعد آدم بمائتي سنة، ورفع وله أربعمائة وخمس وستون سنة والأول أشهر.

وفي لباب التأويل والمدارك، وكان سبب رفعه إلى السماء الرابعة، على ماقاله كعب الأحبار. وغيره، أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال يارب إني مشيت يوماً فكيف من يحملها مسيرة خمس مئة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه، ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالايعرفه فسأل الله عن سبب ذلك فقال إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، قال: يارب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس: فقال له إدريس اشفع لي عند ملك الموت ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لايؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت وقال: لي إليك حاجة صديق من بني آدم يتشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه، قال نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ماأراه يموت أبداً، قال: وكيف ذلك قال لاأجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: أنا أتيتك وتركته هناك، قال انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات، فوالله مابقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً.

قال وهب كان يرفع لإدريس كل يوم من العباد مثل مايرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة وحُبب إليهم، واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فقال لملك الموت: أذقني الموت يهن علي ففعل بإذن الله فجيء بعد ساعة ثم رفعه إلى السماء وقال: أدخلني النار فأزداد رهبة ففعل، ثم قال: أدخلني الجنة فازداد رغبة ففعل، فقال له: أخرج إلى مقرك فتعلق بشجرة، وقال: ماأخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، قال له الملك: مالَكَ لاتخرج؟ قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته، وقال: وإن منكم إلا واردها وقد وردتها، وقال: وردتها وقال ماهم منها بمخرجين فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل وبأمري لايخرج فهو حيٌّ هنالك. واختلفوا في أنه حيٌّ في السماء أم ميت، فقال قوم هو ميت، وقال قوم هو حي، وقالوا أربعة من الأنبياء في الأحياء؛ اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء هما عيسى وإدريس.

وفي فصوص الحكم إلياس هو إدريس كان نبياً قبل نوح وقد رفعه الله مكاناً علياً فهو في قلب الأفلاك ساكن، وهو فلك الشمس، ثم بعث إلى قرية بعلبك وبعل اسم صنم وبك اسم سلطان تلك القرية وكان هذا الصنم المسمى بعلاً مخصوصاً بالملك وكان إدريس الذي هو إلياس قد مثل له انفلاق الجبل المسمى لبنان من اللبانة، وهي الحاجة، عن فرس من نار وجميع آلاته من نار فلما رآه ركب عليه، فسقطت عنه الشهوة فكان عقلاً بلا شهوة ولم يبق له تعلق بما يتعلق به الأغراض النفسية.

وفي الكشاف قيل إلياس هو إدريس النبي، وقراءة ابن مسعود، وإن إدريس لمن المرسلين في موضع إلياس، وقرئ إدريس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هارون النبي أخي موسى، وبعل علم لصنم كمناة وهبل، وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء، وكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك، وقيل بعل الرب بلغة اليمن، انتهى كلام الكشاف. فلما رفع إدريس إلى السماء وقع الاختلاف بين الناس وفتر الوحي إلى زمان نوح.

ذكر ملك جمشيد:

وفي زمان أخنوخ ملك جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو أخو طهمورث، وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة، وسخر له مافيها من الجن والإنس وعقد التاج على رأسه، وأمر بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصناع من الحديد، وبعمل الإبريسم وغزله، والقطن والكتان وكل مايصاغ غزله وحياكته، وصبغه ألواناً ولبسه، وصنف الناس أربع طبقات طبقةً مقاتلة، وطبقةً فقهاء وطبقة كتاباً وصناعاً وحرائين، واتخذ طبقة منهم خدماً كذا في الكامل.

وفي نظام التواريخ زاد جمشيد في عمارة مدينة اصطخر وعظمها حتى كان حدها من حفرك إلى آخر رامجرد مقدار اثني عشر فرسخاً في الطول وعشرة فراسخ في العرض واليوم ظللها وأساطينها باقية يقال لها جهل منارة، أي ذات أربعين منارة ولم يخبر أحد بمثلها في العالم، ولما تم بناؤها سار إليها مع الملوك والعظماء، وفي ساعة بلوغ الشمس نقطة الاعتدال الربيعي جلس على السرير ووعد الناس بالعدل والإحسان، وسمى ذلك اليوم نوروز يعني يوم

جديد. فمدة ملكه بلغت إلى قرب سبعمائة سنة، وأبطره الملك والنعمة وغلبته الحماقة والتجبر فدعا الناس إلى عبادته وصنع الأصنام على صورته، وبعثها إلى أطراف العالم ليعبدوها، فسلط الله عليه شدّاد بن عاد حتى بعث إليه ابن أخيه ضحّاك بن علوان حتى قلع جمشيد وقطعه قطعاً. وكان إدريس بن يرد قد تزوج هدانة، ويقال ادانة كذا في الكامل. ويقال تزوج بروحا فولدت له (متوشلخ) بن أخنوخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل بخاء معجمة كذا في الكامل، وكان لإدريس حين تزوج خمس وستون سنة وكان متوشلخ أول من ركب الفيل وأنه سلك رسم أبيه أخنوخ في الجهاد.

في «أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ» لأحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني المتوفى[1] عام 1161م/1019هـ.

في ذكر إدريس عليه السلام

كان رجلاً طويلاً ضخم البطن عظيم الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس، وكانت إحدى أذنيه أعظم من الأخرى، وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص، وكان دقيق الصوت قريب الخطا إذا مشى، كذا ذكره ابن قتيبة في الأنساب، وكان نبياً وملكاً عظيماً، ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة، أي أسد الأسود، وهو عطارد، وفي المختصر في أخبار البشر نبأ الله تعالى إدريس وكشف له الأسرار السماوية، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، ونزل عليه جبريل أربع مرات، كذا في الأنس الجليل. ومن معجزاته أنه كان يرى الملائكة في الهواء حين يظهرون، وكان كلما دعا السحاب أجابه بلغته، وسمعه الناس يتكلم مع السحاب، وفي عجايب الدنيا للمسعودي أن إدريس صب الرصاص ذهباً بصاصا وهو الذي يسمى المثلث لأنه نبيٌّ وملك وحكيم، ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه عزرائيل الملك لآدم، وكانوا يتوارثونه لاينظرون فيه ولم يفتحه بعد شيث، غير إدريس، وإنما سُميّ إدريس لكثرة ما كان يدرس في كتب الإسلام، وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وعلم الرياضة والمنطق والطبيعة والإلهي وأسرار الفلك، وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبسها، وكان من قبله يلبسون الجلود، وهو أول من جاهد في سبيل الله ونهى أرباب الفساد من بني آدم عن مخالفاتهم شريعة آدم وشيث، فأمره الله تعالى أن يقاتلهم ويسبي نساءهم وأولادهم

(1) طبعة عالم الكتب ببيروت ص21.

فأطاعه قليل وعصاه كثير، وكان عدد من أطاعه ألف إنسان، وهو الذي رسم بعمارة المدن وجمع طلاب السلم وقرر لهم قواعد السياسة وعمارة المدن، فبنت كل فرقة من الأمم مدنا في أرضها، فكان عدة المدن التي بنيت في زمانه مائة وثمانين مدينة، وذكر بعض المحققين في شرح الفصوص أن آدم لما مرض مرض الموت تمنى من ثمار الجنة، فأتى جبريل بطبق من ثمار الجنة على رأس حورية، فأكل منه وسأل الله تعالى أن يزوج تلك الحورية من شيث فأجابه الله تعالى فولدت منه إدريس، ولهذا السر الجلي كان له تجرد ملكي وسياحة فلكي، عرج إلى الأفلاك وشاهد أطوارها وصنف الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل وأخذها، فسقط من يده في البحر أكثرها لحكمة من الله سبحانه، مما فيه إظهار أسرار الربوبية، فاقتضت الحكمة الإلهية إخفاءها من العامة، وذكر أنه لم ينم ستة عشر سنة، ولم يأكل حتى بقي عقلاً مجرداً وروحانية في فلك الشمس، وهو أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة، وحصل له معراج السلاح البشرية، وذكر الشيخ محيي الدين العربي، قدس الله سره، في الفتوحات المكية، وفي قوت القلوب أن إدريس هو إلياس وأنه ينزل كما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام تشريفاً لشرف نبينا محمد، وله جولان في الأرض وقطبية برية مع خلافة محمدية، كما للخضر قطبية بحرية، وبينهما اجتماع براً وبحراً عند سد يأجوج ومأجوج، وفي مكة وعرفات وفي مرآة الزمان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم: إدريس وعيسى في السماء، وإلياس والخضر في الأرض، وكلهم يموتون إلا إدريس، فإنه إذا مات الخلق أصابته دهشة فيبقى في عداد الموتى وهو حي، وقيل هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق، وقال: «لمن الملك اليوم» فيقول إدريس: لله الواحد القهار. قال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الأرض في زمانه حتى اشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله عز وجل في زيارته، فأذن له وطلب أن يذيقه الموت فأذاقه بإذن الله تعالى، ثم أحياه الله ثم سأله أن يورده النار فأورده إياها، ثم سأله أن يدخله الجنة فلما دخل الجنة أبى أن يخرج منها محتجاً أن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته، وقال «وإن منكم إلا واردها» وقد وردتها، وقال: «ماهم منها بمخرجين» فلست أخرج فبقي بها بعناية الله تعالى، فهو حي هناك، فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة. قيل أسكنه قلب الأفلاك وهو فلك الشمس وعلم دور الأفلاك وطبايع الكواكب وخواصها، ولما رفعه الله تعالى كان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل رفع وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة،

وعاش أبوه بعد ارتفاعه خمس مئة سنة وخمساً وثلاثين سنة، فلما رفعه عزَّ وجلَّ اختلفوا بعده وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح، وولد لإدريس متوشلخ على ثلاث مئة سنة من عمره استخلفه إدريس بأمر الله تعالى قبل رفعه. ذكر أنه أول من ركب الخيل لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد وعاش تسع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة، ومات في أيلول في حياة آدم. وولد لمتوشلخ لمك وفي زمانه كثرت الجبابرة من ولد قابيل، وعاش لمك سبع مئة سنة، وولد له غلام وعمره إذا ذاك مئة وسبع وثمانون سنة فسماه نوحاً.

هرمس في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، للقاضي مجير الدين ابن اليمن عبد الرحمن العليمي الحنبلي المتوفى عام 927هـ[1].

ثم ولد ليود حنوخ ـ بخاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ـ وهو إدريس عليه السلام وأدرك إدريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة، ولما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله وانكشفت له الأسرار السماوية، ونزل عليه جبريل عليه السلام أربع مرات وله صحف: (منها) ولاتروموا أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين إلا من أثره.

ثم ولد لحنوخ متوشلخ ـ بتاء مثناة من فوق وآخر حاء مهملة ـ عاش تسع مئة وتسعاً وستين سنة. ثم ولد لمتوشلخ لامخ، ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح.

وقد جاء في كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون لآية الله السيد شهاب الدين النجفي المرعشي المتوفى عام 1670م في المقدمة من أحوال العلوم[2].

وروى أن آدم عليه السلام وضع كتاباً بأنواع الألسن والأقلام قبل موته بثلاث مئة سنة كتبها في طين ثم طبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه من خطه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب، وكان ذلك من معجزات آدم عليه السلام، وذكره السيوطي في المزهر. وفي رواية: أن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده

(1) طبعة الاردن ـ عمان ص19.
(2) طبعة بغداد منشورات مكتبة المثنى عام 1941.

تتلقاها بوصية منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلية [القلبية] وكان أقرب عهد إليه إدريس عليه السلام، فكتب بالقلم واشتهر عنه من العلوم مالم يشتهر عن غيره، ولقب بهرمس الهرامسة، والمثلث بالنعمة، لأنه كان نبياً ملكاً حكيماً وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه في قول كثير من العلماء، وهو هرمس الأول أعني إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، المتمكن بصعيد مصر الأعلى، وقالوا إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل وعبد الله تعالى فيها، وأول من نظر في الطب وألف لأهل زمانه قصائد في البسائط والمركبات، وأنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض فخاف ذهاب العلم فبنى الأهرام في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم صفات العلوم والكمالات حرصاً على تخليدها، ثم كان الطوفان وانقرض الناس فلم يبق علم ولا أثر سوى من في السفينة من البشر، وذلك مذهب جميع الناس، إلا المجوس فإنهم لايقولون بعموم الطوفان، ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة فعاد ماأندرس من العلم إلى ماكان عليه من الفضل والزيادة فأصبح مؤسس البنيان مشيد الأركان لازال مؤيداً بالملة الإسلامية إلى يوم الحشر والميزان».